

أبو بكر الصديق

- فقام الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري الخزرجي السلمي ويكنى أبا عمر وكان يقال له ذو الرأي . فقال : .

(يا معشر الأنصار املكوا عليكم أمركم فإن الناس في فيئكم وفي طلكم ولن يجتري مجترئ على خلافكم ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم أنتم أهل العز والثروة وأولو العدة والمنعة والتجربة ذوو البأس والنجدة وإنما ينظر الناس إلى ما تصنعون ولا تختلفوا فيفسد رأيكم وينتقص عليكم أمركم أبا هؤلاء إلا ما سمعتم فمننا أمير ومنهم أمير) .
ورد عمر بن الخطاب على الحباب فقال : .

(هيهات لا يجتمع اثنان في قرن (1) وإني لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم ولكن العرب لا تمتنع أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم وولي أمرهم فيهم ولنا بذلك على من أبا من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين من ذا ينارعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم (2) أو متورط في هلكة) . فقام الحباب بن المنذر فقال : .

(يا معشر الأنصار املكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر فإن أبوا عليكم ما سألتموه فأجلوهم عن هذه البلاد وتولوا عليهم هذه الأمور فأنتم وإني أحق بهذا الأمر منهم فإنه بأسيا فكم دان لهذا الدين من دان ممن لم يكن يدين أنا جذيلها (3) المحكك وعذيقها المرجب أما وإني لو شئتم لنعيدنها جذعة) .

لقد لج الحباب في الخصومة واستعمل في خطبته ألفاظا شديدة وحرص الأنصار على إجلاء المهاجرين من المدينة إذا لم يولوهم الخلافة وتوعدهم بالشر لذلك قال له عمر محتدا إذن يقتلك إني . قال : بل إياك يقتلك .

قال أبو عبيدة : (يا معشر الأنصار إنكم أول من نصر وآزر فلا تكونوا أول من غير وبدل) .

وعندئذ قام بشير بن سعد بن ثعلبة بن الجلاس الخزرجي الأنصاري ويكنى أبا النعمان فقال :

(يا معشر الأنصار إنا وإني كنا أولى فضيلة في جهاد المشركين وسابقة في هذا الدين ما أردنا به إلا رضا ربنا وطاعة نبينا والكبح لأنفسنا . فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك ألا إن محمدا A من قريش وقومه به أحق وأولى وإيم إني لا يراني إني أنارعهم هذا الأمر أبدا فاتقوا إني ولا تخالفوهم ولا تنارعوهم) .

فأراد أبو بكر بحكمته أن يضع حدا لهذا الخلاف خشية استحكامه فرشح للخلافة اثنين من المهاجرين قائلا : (هذا عمر وهذا أبو عبيدة فأيهما شئتم فبايعوا) .

فقالا : (لا وإِ لا نتولى هذا الأمر عليك فإنك أفضل المهاجرين وثاني اثنين إذ هما في الغار وخليفة رسول إِ على الصلاة والصلاة أفضل دين المسلمين فمن ذا ينبغي له أن يتقدمك أو يتولى هذا الأمر عليك أبسط يدك نبايعك) . فلما ذهبا لبايعاه سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه فهو على ذلك أول من بايع أبا بكر الصديق .

ولما رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد وما تدعو إليه قريش وما تطلب الخرج من تأمير سعد بن عبادة قال بعضهم لبعض وفيهم أسيد بن حضير (الذي كان رئيس الأوس يوم بعث ومن أحسن الناس صوتا بالقرآن وكان أحد المشهود لهم بالعقل وأحد النقباء) : .

وإِ لئن وليتها الخرج عليكم مرة لا زالت لهم بذلك الفضيلة ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيبا أبدا فقاموا إليه فبايعوه فأنكر على سعد بن عبادة وعلى الخرج ما كانوا أجمعوا له من أمرهم .

ولم يلق الرأي الذي قاله الأنصار (منا أمير ومنكم أمير) قبولا حتى سعد نفسه فإنه لما سمع به قال : (هذا أول الوهن) لأن انقسام القوة موهن لها و كذا رفضه عمر حيث قال : (هيهات لا يجتمع اثنان في قرن) وأسرع عمر في مبايعة أبي بكر علما منه بمكانته واعترافا بفضله .

أقبل الناس يبايعون أبا بكر من كل جانب وأقبلت أسلم بجماعاتها حتى تضايقت بهم السكك فبايعوا فكان عمر يقول : (ما هو إلا أن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر) وكاد الناس من شدة الزحام يطأون سعد بن عبادة الذي كان يومئذ مريضا ولا يستطيع النهوض وحدث بينه وبين عمر مشادة وأخيرا حمل سعد وأدخل في داره وترك أياما ثم بعث إليه أن أقبل فبايع فقد بايع الناس وبايع قومك فقال : .

(أما وإِ حتى أرميكم بما في كنانتي من نبل وأخضب سنان رمحي وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي وأقاتلكم بأهل بيتي ومن أطاعني من قومي فلا أفعل . وإيم إِ لو أن الجن اجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم حتى أعرض على ربي وأعلم ما حسبي) .

هذا ما أجاب به سعد من دعوته إلى مبايعة أبي بكر بعد أن علم أن البيعة قد تمت ولكن ماذا يفيد امتناعه عن البيعة وليس له أنصار ولا أغلبية لقد طمع في الخلافة وطمع أن قومه سيقاومون ويتمسكون به إلى آخر رمق من حياتهم . إنه تواعد وهدد بمفرده لذلك لم يكثرث به أحد فتركوه وشأنه .

فلما علم أبو بكر بما قال سعد قال له عمر : لا تدعه حتى يبايع . فقال له بشير بن سعد : إنه قد لج وأبى وليس بمبايعتكم حتى يقتل وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده وأهل بيته

وطائفة من عشيرته فتركوه فليس تركه بضاركم إنما هو رجل واحد . فتركوه عملا برأي بشير .

_____ .

(1) القرن : الجبل ولا يقال للجبل قرن حتى يقرن فيه بعيران .

(2) متجانف لإثم : أي مائل متعمد .

(3) الجذل : أصل الشجرة وعود ينصب لتحتك به الجربى من الإبل فتستشفى به والعذق :

النخلة بحملها وقول الحباب : " أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب " مثل يضرب لمن يستشفى برأيه ويعتمد عليه أي قد جربتني الأمور ولي رأي وعلم يستشفى بهما كما تستشفى هذه الإبل بهذه الجذل . وصغره على جهة المدح وصغر الغدق على جهة المدح أو التعظيم .
والترجيب : أن تدعم الشجرة إذا كثر حملها لئلا تنكسر أغصانها . وقيل ترجيبها هو أن يوضع الشوك حوالى الأعذاق لئلا يصل إليها فلا تسرق . وقد أراد بالترجيب التعظيم